

الأبعاد الإستراتيجية لفتح مكة (٨ هـ)

د. غسان عبد القادر حميد/ كلية المأمون الجامعة

المستخلص :

كان قرار الرسول [p] بفتح مكة دليلاً على قدرة المسلمين على تحقيق النصر، وتأكيداً على أن المسلمين لم يصبهم الوهن ، ففي رمضان من العام الثامن للهجرة ، قرر الرسول [p] القيام بعمل حاسم إزاء قريش بعد أن أخلت بعهد الحديبية فأمر رسول الله أصحابه بالتجهيز للحرب دون أن يعين الجهة التي سيقصدها المسلمون، امعاناً في الكتمان والسرية ، وفي اليوم العاشر من رمضان ، خرج الرسول الكريم [p] من المدينة في جيش كثيف بلغ عدده عشرة الاف رجل ، لم تشهد له الحجاز مثيلاً من قبل ، ودخل المسلمون مكة من أربع جهات وأمرهم رسول الله [p] بأن لا يقاتلوا إلا من يقاتل، فلم يحصل بين المسلمين وقريش قتال طبقاً لما خطط له رسول الله [p] ، ولما نزل الرسول الكريم بمكة وأطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به وفي يده قوس حطم بها الأصنام والأوثان وتسارع أهل مكة معلنين إسلامهم بين يدي النبي بعد إعلان العفو عنهم رغم قدرة الجيش الإسلامي على النيل منهم ، وتمخض عن غزوة فتح مكة إبعاد ونتائج إستراتيجية مهمة صارت رافداً من روافد الفكر العسكري المعاصر ، أبرزها تحصيل الهدف بنصر المسلمين دون قتال ، دخول مكة في الإسلام ، إتباع الكتمان والسرية خلال مدة الاستحضارات للفتح والحرب النفسية ضد قريش ، وفرض منع التجوال على المشركين في مكة ، واستخدام مبدأ الردع وعرض القوة إثناء استعراض جيش المسلمين ، ودخول مكة من جهاتها الأربع في آن واحد ، وبمعنويات عالية لجيش المسلمين .

The strategic Dimensions of the Occupation of Mecca

Dr.Ghassan Abdul Kadir Hameed /Scientific Unit
Al-Ma'moon University College

Abstract:

The decision of the Messenger(P.B.U.H) to occupy Mecca was a proof of the Muslims' ability to achieve victory as well as a reassurance that the Muslims had not been weakened .On Ramadan, of the 8th year of Hijra, the Messenger(P.B.U.H) decided to take a decisive action against Quraish after it breached Al-Hudaibiyya Treaty .Thus he gave orders to his companions to prepare for war , without pointing out the destination the Muslims intend to go for the sake of secrecy . On the 10th of Ramadan , the Messenger of God (P.B.U.H) led a great army out of Medina . The number of the army was incomparable in Al-Hijaz ; it reached ten

thousand men . The Muslims entered Mecca from four directions and the Messenger ordered them to fight only those who fought against them. Thus ,no fighting took place between the Muslims and Quraish as was planned by the Messenger(P.B.U.H). After the prophet entered Mecca and people felt safe, he came out and circumambulate the Kaaba. He had a bow by which he destroyed the idols. The Meccans rushed to declare their Islam before the Prophet for he announced his forgiveness despite the ability of the Muslim Army to punish them. The occupation of Mecca resulted in strategic dimensions which formed one avenue of enriching contemporary Military ideology. These dimensions were: the Muslims' achievement of victory without fighting and the Meccans conversion to Islam , both of which were achieved through keeping things under secrecy during preparation time as well as the psychological war against Quraish and the curfew imposed on the disbelievers in Mecca . These were accompanied by the use of the inhibition principle and the exhibition of might during the Muslims army parade when entering Mecca from four directions and the army high spirits .

المقدمة

أدى انتشار الإسلام بين قسم كبير من القبائل ومن ضمنها قريش، وبقاء القسم الآخر على الشرك الى تفرق كلمتها واستحالة جمع هذه الكلمة على حرب المسلمين ، ولم يبق في قريش زعيم يستطيع توجيهها الى ما يريد ، وأصبح المسلمون قوة لا تدانيها أية قوة في بلاد العرب، ولم يبق أمام المسلمين الا فتح مكة ، وجاء نقض قريش وحلفائها لصالح الحديبية والهدنة عاملاً مساعداً للشروع في فتح مكة ، فضلاً عن تغيير موازين القوى في المنطقة ، فكان لابد من الاستفادة من المعطيات الجديدة فأعد الرسول [p] جيشاً لم تشهد له الجزيرة العربية مثيلاً من قبل ، فقد وصلت عدته الى عشرة الاف رجل ، طبق المسلمون في هذه الغزوة مبادئ الحرب وفنونها بأحسن صورها ، حتى صارت بدروسها وعبرها رافداً من روافد الفكر العسكري المعاصر ، ومن هنا جاءت أهمية البحث لبيان دور الفكر العسكري الإسلامي وتأثيره في الفكر العسكري المعاصر ، ولقد هدف البحث الى استقراء الأبعاد الإستراتيجية لفتح مكة بعد تقديم عرض مختصر عن الاستعدادات

والاستحضارات لجيش المسلمين، والشروع لتنفيذ الغزوة ودخول قوات المسلمين مكة وتحقيق النصر من دون إراقة دماء •

سير الأعمال لفتح مكة

الاستعداد والاستحضارات

امام نقض قريش للعهد والمواثيق مع المسلمين ^(١) ، فقد عزم رسول الله [p] على فتح مكة وتأديب كفارها وقد ساعده على ذلك العزم بعد توفيق الله عدة اسباب : منها قوة جبهة المسلمين الداخلية في المدينة وتماسكها ، فقد تخلصت الدولة الاسلامية من غدر اليهود وتم القضاء على يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ويهود خيبر ، وانتشار الاسلام في القبائل المجاورة للمدينة ، وتطوير قوة المسلمين العسكرية ، وارسال السرايا في فترة الصلح • في المقابل ضعف جبهة الاعداء في الداخل وفي مقدمتهم المنافقون ويهود المدينة ، والضعف الذي الحق بقريش اقتصادياً •

هذا التغيير في موازين القوى والمعطيات الجديدة ساعدت في القرار على غزوة الفتح ، فقد أمر الرسول [p] اصحابه بانجاز استحضاراتهم للحركة ، وارسل من يخبر قبائل المسلمين خارج المدينة بانجاز استحضاراتهم للحركة ايضاً ^(٢) ، وبأن يشاركو في الجهاد ، فتوافدت على المدينة قبائل سليم ومزينة وبني غفار وأسلم وتميم وقيس ^(٣) •

كما بعث النبي [p] سرية مكونة من ثمانية رجال وذلك لأخفاء نياته الحقيقية ، وفي ذلك يقول ابن سعد " لما هم رسول الله [p] بغزو اهل مكة بعث أبا قتادة بن ربعي في ثمانية نفر سريةً الى بطن إضم ^(٤) ليظن الظان : ان رسول الله [p] توجه الى تلك الناحية ، فمضوا ولم يلقوا جمعاً ، فانصرفوا حتى انتهوا الى ذي خشب ^(٥) ، فبلغهم : ان رسول الله [p] قد توجه الى مكة فأخذوا على (بيبين) حتى لقوا الرسول [p] (بالسقية) ^(٦) " ^(٧) ، ولقد اخذ الرسول [p] بمبدأ السرية المطلقة والكتمان الشديد حتى عن اقرب الناس اليه وهو ابو بكر الصديق [τ] وزوجته عائشة [ψ] ، فلم يعرف احد شيئاً عن اهدافه الحقيقية واتجاه حركته، تحسبا من ان تصل معلومات للعدو ، بدليل ان أبا بكر الصديق [τ] عندما سأل ابنته عائشة [ψ] وهي تهيب جهاز الرسول [p] فقال لها: " اي بنية ، أمركم رسول الله [p] ان تجهزوا فقالت : نعم، قال: فأين تريه يريد ؟ قالت: والله لا أدري ، وكانت أحياناً تصمت ، وكلا الامرين يدلان على انها لم تعلم شيئاً عن مقاصده [p] ^(٨) •

إرسال العيون والأرصاد

بعث [p] رجال العيون (الاستخبارات) ، داخل المدينة وخارجها، لتحول دون معرفة قريش بنوايا المسلمين ولا تتنقل اخبارهم اثناء المسير الى قريش ويحرم المنافقين والموالين لقريش من ارسال تلك المعلومات اليها ، وبعد ان اخذ رسول الله [p] بالاسباب المادية التي في استطاعته ، توجه الى الله (Y) - بالدعاء والتضرع قائلاً : " اللهم خذ على اسماعهم وابصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعون بنا الا فجأة " (٩) .

وعندما أكمل الرسول [p] استعدادده للسير الى فتح مكة كتب حاطب بن ابي بلتحة كتاباً الى أهل مكة يخبرهم فيه نبأ تحرك الرسول [p] إليهم، ولكن الله (I)، اطلع نبيه [p] عن طريق الوحي على هذه الرسالة فأرسل الرسول [p] علي بن أبي طالب والزبير بن العوام [p] فأمسكا بالمرأة التي كانت تحمل الكتاب على بعد اثني عشر ميلاً من المدينة وأخذا الرسالة التي كانت معها ثم استدعي حاطب للتحقيق فقال : يا رسول الله : أما والله اني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت، ولكني كنت أمراً ليس له في القوم من أهل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم " (١٠) ، فقال عمر [p] دعني يا رسول الله لأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق ، فقال [p] : " اما انه قد صدقكم ، ما يدريك لعل الله قد أطلع على من شهد بداراً فقال : " اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " (١١) .

ان رسول [p] عامل حاطباً معاملة رحيمة تدل على حرصه الشديد على الوفاء لأصحابه ، أن تاريخ حاطب الكبير في الجهاد في سبيل الله شفع له عند رسول الله [p] لذلك لم يتعرض للأدانة أو العقوبة ولم يسمع من مسلم كلمة واحدة في نقده والأساءة اليه بعد قول الرسول [p]: " ولا تقولوا له إلا خيراً " (١٢) .

الشروع الى مكة

بعد ان أنجزت كافة الاستعدادات للحركة، خرج المسلمون بقيادة رسول الله [p] قاصدين مكة في العاشر من رمضان من العام الثامن للهجرة (١٣) ، وكان عدد الجيش عشرة الاف رجل مؤلفاً من الانصار والمهاجرين وسليم ومزينة وغطفان وكثير من القبائل الاخرى في عددٍ وعُدَد لم تعرفه الجزيرة العربية من قبل، وكلما تقدم الجيش باتجاه هدفه ازداد عدده بأنضمام مسلمي القبائل التي تسكن على جانبي الطريق اليه، ومع كثافة هذا الجيش وقوته وأهميته ، فقد بقي سر حركته مكتوماً، لاتعرف قريش عنه شيئاً ، ومع اعتقاد قريش بأن الرسول [p] في حل من مهاجمتها ، ولكنها لم تكن تعرف متى وأين وكيف سيجري الهجوم المتوقع

(١٤) فلما وصل الجيش (الكُديد)-الماء الذي بين قديد وعفان **أفطر** رسول الله [p] وأفطر الناس معه، وفي الجحفة لقيه العباس بن عبد المطلب عمه وقد خرج مهاجراً بعياله فسرّ [p] (١٥) به، وخرج أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أمية بن المغيرة من مكة بثنية العقاب، بين مكة، والمدينة، ومع فداحة جرمهما فإن النبي [p] عفا عنهما وقبل عذرهما وهذا مثال عالٍ في الرحمة والعفو والتسامح، وتابع رسول الله [p] سيره حتى أتى مَرَّ الظهران (١٦) فنزل فيه عشاءً، وعسكر هناك وأمر الرسول [p] أن يؤقد كل مسلم ناراً حتى ترى قریش ضخامة الجيش، فيؤثر ذلك في معنوياتها وتستسلم للمسلمين دون قتال .

وكان ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء خرجوا يلتمسون الأخبار، فلما رأوا النيران، قال ابو سفيان لصاحبه: ما رأيت كالكليلة نيراناً قط ولا عسكرياً، فقال بديل: هذه والله خزاعة حمشتها (١٧)، فلم يقتنع ابو سفيان بهذا الجواب، فقال: "خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها" (١٨)، وكان العباس عم النبي [p] قد خرج من معسكر المسلمين، راكباً بغلة الرسول [p] ليخبر قریش بالجيش الضخم الذي جاء لقتالها، فسمع حديث أبي سفيان وبديل، وأردف العباس أبا سفيان على بغلة الرسول [p] وتوجها نحو معسكر المسلمين وأخذا يمران بنيران الجيش في طريقهم الى خيمة الرسول [p]، فلما مر العباس بنار عمر بن الخطاب [ع] عرف أبا سفيان فأسرع عمر الى خيمة الرسول [p] وطلب منه أن يأمره بضرب عنق أبي سفيان (١٩)، ولكن الرسول [p] طلب من عمه ان يأخذ أبا سفيان الى خيمته ويحضره اليه صباح غد، فلما كان الصباح وجيء بأبي سفيان الى الرسول [p] قال: وبحك! أبا سفيان ألم يأن لك إن تعلم أنه (لا اله إلا الله وأنني رسوله)، قال: بأبي أنت وأمي، أحلمك الله وأكرمك وأرسلك، فشهد شهادة الحق وأسلم (٢٠)، قال العباس: قلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فأجعل له شيئاً، قال: "نعم من دخل دار ابي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن" (٢١) هذا التخصيص من قبل الرسول [p] لأبي سفيان وبيته فيه شيء يشبع ما تنتطلع اليه نفس أبي سفيان وفي هذا تثبيت له على الاسلام وتقوية لأيمانه (٢٢)، وعاملاً على أمتصاص الحقد من قلب أبي سفيان وبرهن له بأن المكانه التي كانت له عند قریش لن تنتقص شيئاً في الاسلام، أن هو أخلص له وبذل في سبيله (٢٣)، وأراد الرسول [p] ان يتوثق من سير الامور كما يجب بعيداً عن وقوع الحرب، فأوصى العباس بأحتجاز ابي سفيان في مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها، فلا تبقى في نفسه اية فكرة للمقاومة، قال العباس فخرجت حتى حبسته حيث أمرني رسول الله [p] ومرّت القبائل على راياتها، كلما مرّت قبيلة، قال: يا عباس من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول مالي ولسليم، ثم تمر به القبيلة، فيقول: يا عباس! من هؤلاء

فأقول : مزينة ، فيقول : مالي ولمزينة !٠٠ حتى مرَّ به رسول الله [p] في كتيبته الخضراء ، فيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم إلا الحَدَقَ من الحديد ، قال : سبحان الله يا عباس من هؤلاء؟ قال: قلت : هذا رسول الله [p] في المهاجرين والانصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة ثم قال : والله يا أبا الفضل ، لقد اصبح ملك ابن أخيك عظيماً ، قال : قلت : يا أبا سفيان !أنها النبوة ، قال : فنعم اذاً (٢٤).

لقد عمل الرسول [p] على شن الحرب النفسية على أعدائه أثناء مسيره الى فتح مكة ، حيث أمر [p] بأشعال النيران فأوقدوا عشرة الاف نار في ليلة واحدة حتى ملأت الأفق ، فكان لمعسكرهم منظر مهيب ، كادت **تنخلع** قلوب القريشيين من شدة هوله (٢٥) ، وقد رأى أهل مكة قوات المسلمين تقترب منهم ، ولم يكونوا حتى ذلك الوقت قد قرروا قراراً حاسماً ولا اتخذوا تدابير القتال الضرورية ، وأصبحت مكة تنتظر دخول المسلمين ، أختفى الرجال وراء الابواب الموصدة وأجتمع بعضهم في المسجد الحرام وبقي بعض المتطرفين مصّرين على القتال .

خطة الرسول [p] لفتح مكة

توزيع المهام بين القادة

عندما وصل المسلمون الى منطقة ذي طوى وزع الرسول [p] المهام فكانت الميمنة بقيادة خالد بن الوليد، واجبها دخول مكة من جنوبها وأمره ان يغرز رايته عند ادنى البيوت ، والميسرة بقيادة الزبير بن العوام واجبها دخول مكة من الشمال ، وأمره ان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه ، وجعل أبا عبيدة بن الجراح مع الانصار على البيادقة (٢٦) ، وبعث قيس بن سعد بن عبادة في كتيبة الانصار واجبها دخول مكة من الغرب ، وقد كانت هذه الكتيبة قد وضعت تحت قيادة سعد بن عبادة لكن الرسول [p] استبدله بقيس ابنه عندما أبلغه مقولة سعد بن عبادة لأبي سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة (٢٧) . وكان رسول الله [p] في كتيبته الخضراء المؤلفة من الأنصار والمهاجرين ، وقد كانت اوامر الرسول [p] للقادة والقوات أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم (٢٨) .

دخول قوات المسلمين مكة

دخلت قوات المسلمين مكة من جهاتها الاربع في وقت واحد، ولم تلق القوات مقاومة من المشركين ولا الصمود امام جيش المسلمين الزاحف الى مكة ، فاحتلت كل قوة المكان الذي وجهت اليه في سلم ، إلا ما كان في المنطقة التي توجه اليها

خالد^(٢٩) ، فقد تجمع متطرفو قريش في مكان أسمه (الحندمة) وتصدوا لقوات المسلمين المتقدمة بالسَّهام وصمموا على القتال ، فأصدر خالد بن الوليد أوامره بالانقضاض عليهم وشتت شملهم وتركوا مواضعهم في الحندمة ، وبذلك أكمل الجيش السيطرة على مكة المكرمة .

دخول مكة

دخل رسول الله [p] مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام وهو واضع رأسه تواضعاً لله ، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى أن ذقنه ليكاد يمسُ واسطة الرِّحل^(٣٠) وهو يقرأ سورة الفتح مستشعراً نعمة الفتح، وغفران الذنوب، وإفاضة النصر العزيز^(٣١) .

دخل الرسول [p] مكة فاتحاً في صباح يوم الجمعة في العشرين من رمضان سنة ثمان للهجرة^(٣٢) ، وهي قلب جزيرة العرب ، رفع كلَّ شعار من شعائر العدل والمساواة والتواضع والخضوع وجاء البيت فطاف به ، وفي يده قوسٌ وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنهما بالقوس ، ويقول ((قل جاء الحقُّ وزهقَ الباطل إن الباطل كان زهوقاً))^(٣٣) ((قل جاء الحقُّ وما يُبدئُ الباطل وما يُعيدُ))^(٣٤) .

والأصنام تتساقط على وجوهها^(٣٥) ، إذ كان يطعن تلك الآلهة الزائفة المنثورة حول الكعبة بعضاً معه، ثم دخل البيت وكبراً في نواحيه ثم صلى فيه ، وقد أعطى رسول الله [p] عثمان بن طلحة مفاتيح الكعبة قائلاً له " هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برٍّ ووفاء " ^(٣٦) ، وهنا لم يشأ النبي [p] أن يحتفظ بمفتاح الكعبة ، بل لم يشأ أن يضعه في أحدٍ من بني هاشم ، وقد حاول لأخذه رجالٌ منهم لما في ذلك من الأثارة ومظاهر السيطرة وبسط النفوذ، وليست هذه من مهام النبوة بإطلاق ... هذا مفهوم الفتح الأعظم في شرعة رسول الله [p] ، البر والوفاء حتى للذين غدروا ومكروا ، وتطاولوا^(٣٧) .. وقد أمر الرسول [p] بلالاً [b] أن يصعد فوق الكعبة فيؤذن بالصلاة، فصعد وأذن بالصلاة وأنصت أهل مكة للنداء ، وقد اجتمع أهل مكة قرب الكعبة ينتظرون حكم الرسول [p] فيهم فقال " ما تظنون أني فاعل بكم ؟! فقالوا خيراً ، أخٌ كريم و أبنٌ أخٌ كريم ، فقال : " لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، أذهبوا فانتم الطلقاء^(٣٨) ، وقد ترتب على هذا العفو العام حفظ الأنفس من القتل أو السبي وإبقاء الأموال المنقولة والأراضي بيد أصحابها وعدم فرض الخراج عليها ، فلم تعامل مكة كما عوملت المناطق الاخرى المفتوحة عنوةً لقدسيته وحرمتها ، فهي دار النسك ومتعبد الخلق^(٣٩) ، والى جانب ذلك الصفح الجميل ، أستثنى قرار العفو الشامل بضعة عشر رجلاً أمر الرسول [p] بقتلهم ، لأنه عظمت جرائمهم في حق الله ورسوله وحق الإسلام ، ولما كان يغشاه منهم من

إثارة الفتنة بين الناس بعد الفتح^(٤٠) ، دخل أهل مكة في دين الله أفواجاً وبإيعاز رسول الله [p] الناس جميعاً الرجال والنساء والكبار والصغار . وأقام الرسول [p] بمكة خمسة عشر يوماً نظماً خلالها شؤون مكة وفقه أهلها في الدين ، وبعث [p] السرايا للدعوة للإسلام وتحطيم الأصنام في الجزيرة العربية ، فبعث [p] خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام ، وكان ذلك في شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة^(٤١) ، وبعث [p] سعد بن زيد الأشهلي على رأس سرية لإزالة (مناة) وتحطيمه^(٤٢) ، وأرسل [p] سرية بقيادة عمرو بن العاص إلى سواع^(٤٣) لتحطيمه ، وبعث [p] خالد بن الوليد إلى الطاغوت الأعظم منزلة ومكانة عند قريش (الغزى) لإزالته من الوجود نهائياً^(٤٤) .

الأبعاد الإستراتيجية للفتح

لقد كان لغزوة الفتح نتائج وأبعاد إستراتيجية كثيرة وعظيمة أهمها :

١ دخول مكة في الإسلام ونصر المسلمين دون قتال

عندما قام الرسول [p] بسلسلة من الأعمال المتتالية التي تجمع ما بين التهديد المباشر ، والضغط غير المباشر مع التلويح باستخدام القوة وإظهارها مع التركيز على العامل النفسي لتحطيم معنويات العدو وإرباك توازنه . تلك الإجراءات والاستحضارات للمعركة وأدارتها أريد لها كسب المعركة دون قتال ودون إراقة دماء ، وقد حرص الرسول [p] على هذا الأسلوب ، أسلوب تحقيق الهدف والنصر دون استخدام القوة والاشتباك المباشر ، دون تكبد خسائر حيث كان أمر الرسول [p] لقادة الجيش أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، ويسمى هذا الأسلوب في العلم العسكري المعاصر بـ (سوق الاقتراب غير المباشر) ، وقد وضع نظرياتها وقوانينها المفكر العسكري (ليدل هارت) بالرغم من أن تطبيقاتها قديمة ويعتبر هذا النوع من الإستراتيجية من أهم وأفضل أنواع الإستراتيجيات ، ويعزو سبب نجاح أهم المعارك الحاسمة في التاريخ إلى تلك الإستراتيجية ، وكان من أبرزها وأعظمها تحرير مكة بقيادة الرسول [p] .

٢ الحرب النفسية

في قول الرسول [p] لعمه العباس عن أبي سفيان الذي أصبح رهينة بيد المسلمين " أحبسهُ بمضيق الوادي " حتى تمر به جنود الله فيراها . حيث أراد الرسول [p] أن يشن حرباً نفسية للتأثير على معنويات قريش ، حتى يتسنى له القضاء على روح المقاومة عند زعيم مكة ، وحتى يرى أبو سفيان بعينه مدى قوة ما وصل إليه جيش المسلمين من تسليح وتنظيم وحسن طاعة وأنضباط ، وبذلك تتحطم أي فكرة في نفوس المشركين يمكن أن تحملهم على مقاومة هذا الجيش إذا دخل مكة

(٤٥) وبالفعل تم ما رسمه رسول الله [p] ، وأدرك أبو سفيان قوة المسلمين وأنه لا قبل لقريش بهم ، ولقد تعمّد الرسول [p] شن الحرب النفسية على أعدائه أثناء سيره لفتح مكة ، حيث أمر [p] بأيقاد النيران ، فأوقدوا عشرة آلاف نار في ليلة واحدة حتى ملأت الافق، فكان لمعسكرهم منظر مهيب حطم نفسيات المشركين ومعنوياتهم بقصد أن لا يفكروا في أية مقاومة وإجبارهم على الاستسلام (٤٦) .

٣. المعنويات

حينما أمر الرسول [p] بدخول المسلمين بأرتال من كل جانب من جوانب مكة، وهم بكامل أسلحتهم وبتنظيم عالٍ من جيش كبير يتألف من المهاجرين والانصار ومسلمي اكثر القبائل العربية المعروفة ، وهم يتوجهون الى البلد المقدس الذي تركوه فراراً بدينهم ، فقد أصبحت معنويات المسلمين أعلى وأقوى مما كانت عليه ولم يتخلف أحد من المسلمين عن هذه الغزوة إلا القليل من ذوي الأعدار الصعبة .

٤- الكتمان والسرية سبيل لتحقيق الفوز

ليس من السهل أبداً أن يتحرك جيش تعداده عشرة آلاف رجل مؤلف من كل القبائل العربية تقريباً ، من المدينة المنورة الى مكة المكرمة ، دون أن تعرف قريش ، ودون أن يعرف حلفائها وقت حركة هذا الجيش الاسلامي ونياته وعدده وعدته حتى يصل المسلمون الفاتحون الى ضواحي مكة المكرمة ، فيقلت الامر من قريش وحلفائها ولا يجدون أمامهم غير الاستسلام (٤٧) ، وذلك لأن نيات المسلمين في مهاجمة مكة المكرمة وفتحها ، لو انكشفت لقريش في وقت مبكر لاستطاعت ان تحشد قواتها وقوات حلفائها ، ولأعدت خطة عسكرية لإحباط هجوم المسلمين ومقاومته .

إن (كتمان) الرسول [p] نياته حتى عن أقرب المقربين اليه وكتمان وقت حركته وتعداد جيشه وتنظيمه وتسليحه (٤٨) فضلاً عن اختيار الرسول [p] شهر رمضان للمسير الى مكة مبالغة في الكتمان ، اذ لم تتوقع قريش قيام المسلمين بهذه الحملة في هذا الشهر الحرام ، فنجح الرسول [p] أعظم النجاح بترتيباته الوقائية التي أخذها لحرمان قريش وحلفاءها من معرفة نيات المسلمين .

٥- فرض منع التجوال

عندما قال العباس [τ] للرسول [p] أن أبا سفيان رجلاً يحب الفخر ، فقال الرسول [p] " نعم !من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن " ، وعندما نقف عند هذا الأسلوب النبوي الكريم . نجد أنه حقق أكثر من مغزى " ، أولهما ، أن الرسول [p] قد فرض

على أهل مكة ((منع التجوال)) وهذا من الناحية العسكرية سيكون عاملاً مهماً في دخول جيش المسلمين دون مقاومة بالرغم من قوة الجيش الإسلامي عدداً وعدة، لأن الهدف المراد هو تحقيق النصر دون إراقة دماء من الطرفين وقد تحقق ذلك .

٦- المباغته وبث العيون

الحصول على المعلومات عن أوضاع العدو ومباغتته يقودك الى النصر كما يقال في العرف العسكري ، وفي غزوة فتح مكة بث الرسول [p] العيون والأرصاد والدوريات داخل المدينة وخارجها ، تحول دون تسرب المعلومات عن حركة جيش المسلمين الى مكة وليحرم المنافقين والموالين لقريش من إرسال المعلومات إليها ، وبقي جيش المسلمين يقطاً كل البقطة حتى وصل ضواحي مكة، ونجح في مباغته قريش من معرفة تدابير المسلمين .

٧- دخول قوات المسلمين من جهاتها الأربع في آن واحد

لقد كان في دخول المسلمين من الجهات الأربع لمكة وتطويقها بقوات مكتفية بذاتها ، لضربة رادعة منعت المشركين من فرصة التجمع والمقاومة امام الجيش الزاحف ، وحتى لو أبدت قريش المقاومة فستكون مقاومتها ضعيفة ، أن هذا الأسلوب في التقرب والهجوم من الأساليب العسكرية المحكمة التي اتخذها الرسول [p] والالتزام لتحقيق الهدف دون إراقة دماء ، واليوم في نظريات العلم العسكري وفن الحرب يؤدي التقرب من أكثر من جبهة الى تشتيت قوة المدافع وإرباك دفاعاته، ومنعه من معرفة جبهة الهجوم الحقيقي ، فضلاً عن التأثير على معنوياته .

٨- الردع وعرض القوة

أمر الرسول [p] باستعراض القوات والمرور بقبائلها وعلى راياتها بعددها وعدتها وتنظيمها الرائع والمهيب ، ترافقهم كتيبة الرسول [p] الخضراء وأمره [p] بإشعال النيران لبيان حجم وقوة جيش المسلمين ودخول مكة من أربع جهات ، كان له الأثر البالغ في ردع المشركين ومنعهم من القتال .

٩- العفو عند المقدرة

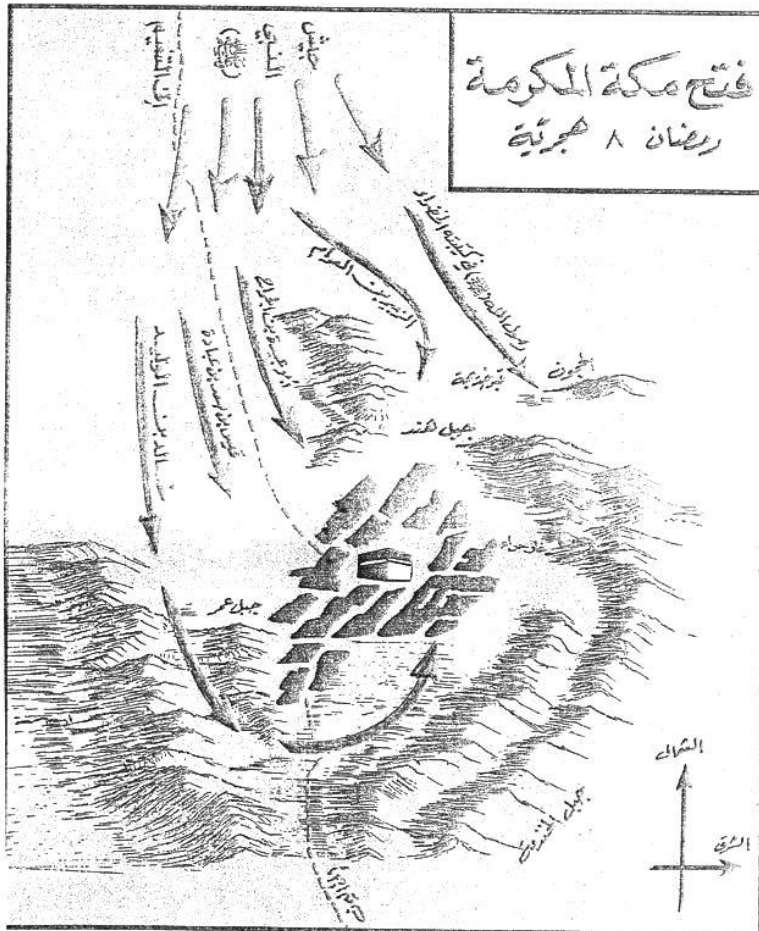
لقد جاء حكم الرسول [p] في أهل مكة بإعلان العفو عنهم حينما قال [p] " لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم " رغم قدرة الجيش الإسلامي على النيل منهم ، حيث ترتب على هذا العفو والصفح الجميل ، حفظ الأنفس من القتل ، أو السبي ، ودخل أهل مكة رجالاً ونساءً وإحراراً وموالي في دين الله طواعية واختياراً ،

وبدخول مكة تحت راية الإسلام دخل الناس في دين الله أفواجاً وتمت النعمة
ووجب الشكر (٤٩) .

١٠- استثمار الفوز

لقد كان من نتائج فتح مكة ، أن دخلت مكة تحت نفوذ المسلمين وزالت دولة الكفر
منها وحانت الفرصة للقضاء على جيوب المشركين في حنين والطائف، وأرسلت
السرايا لنشر الإسلام والقضاء على رموز الشرك والقضاء على الأصنام
والأوثان ، وأصبح المسلمون قوة عظمى في جزيرة العرب بعد أن دخلوا في
الإسلام أفواجاً ، وتحققت أمنية الرسول [p] بدخول قريش الإسلام وهي مؤهلة
لتوحيد العرب تحت راية الإسلام ، ثم الانطلاق الى الأقطار المجاورة لكي
يدخلوا في دين الله ويعبدوه وحده دون سواه (٥٠) .

خريطة فتح مكة المكرمة رمضان ٨ هجرية



المصادر والهوامش

- (١) نقضت قريش العهد مع المسلمين عندما أعانت حلفاءها بني بكرٍ على خزاعة حليفة المسلمين بالخيـل والسلاح والرجال ، وهجم بنو بكر وحلفاؤهم على قبيلة خزاعة عند ماءٍ يقال له :الوتير وقتلوا أكثر من عشرين من رجالها، ولما التجأت خزاعة الى البيت الحرام طاردتهم بنو بكر مصممة على القضاء عليهم غير مكترثة بصلح الحديبية . أنظر :الدكتور علي محمد محمد الصلابي ، السيرة النبوية ، دار أبـن كثير ، بيروت ، ج٢ ، ٢٠٠٤ ، ص٤٨٢ عن البداية والنهاية لأبي النداء أبـن كثير الدمشقي ، دار الريان للتراث ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص٤٧٧ .
- (٢) محمود شيت خطاب ، الرسول القائد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٠ ، ط٢ ، ص٢٢٥ .
- (٣) ابن هشام (ابو محمد عبد الملك) ق٢١٣هـ ٨٢٨ م ، السيرة النبوية ، دار ابن الأثير ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص٤٥ .
- (٤) بطن أضم : وادي المدينة الذي تجتمع فيه الوديان الثلاثة . بطن وقناة والعقيق .
- (٥) ذي خشب : هو موضع على مرحلة من المدينة الى الشام يبعد عن المدينة حوالي (٣٥) ميلاً .
- (٦) السقيا : موضع يقع في وادي القرى .
- (٧) محمد بن سعد الزهري ، طبقات أبـن سعد الكبرى ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٥٧ ، ص١٢٣ .
- (٨) أبـن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ص٢٨٢ .
- (٩) المصدر نفسه ، ص٢٨٢ : كذلك أنظر محمد رسول الله ، محمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص١٨٠ .
- (١٠) محمود شيت خطاب ، الرسول القائد ، مصدر سابق ، ص٢٢٦ .
- (١١) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، تفسير القرطبي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٦٥ ، ص (١٨-٥٢) : كذلك صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري ، دار الفكر ، ط١ ، ١٩٩١ (٣٩٨٣) .
- (١٢) علي محمد محمد الصلابي ، السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ص٤٩١ .

- (١٣) د. مهدي رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط١ ، الرياض
١٩٩٢ ، ص ٥٦٠ .
- (١٤) محمود شيت خطاب ، المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .
- (١٥) محمد أبو فارس ، السيرة النبوية دراسة وتحليل ، دار الفرقان ، ط١ ،
١٩٩٧ .
- (١٦) مَرَّ الظهران : وادٍ من أودية الحجاز شمال مكة ب(٢٢) كم .
(١٧) حمشتها الحرب : أحرقتها .
- (١٨) صالح أحمد الشامي ، من معين السيرة ، المكتب الاسلامي ، ط٢ ، ١٩٩٢
، ص ٣٨٧ .
- (١٩) د. علي محمد محمد الصلابي ، المصدر السابق ، ص ٤٩٥ .
- (٢٠) المصدر نفسه ، ص ٤٩٦ .
- (٢١) صحيح البخاري لمحمد بن اسماعيل البخاري ، دار الفكر ، ط١ ، ١٩٩١
، الحديث (٤٢٨٠) كذلك أنظر : السيرة النبوية لأبن هشام ، أبي محمد بن
عبد الملك بن هشام ، دار الفكر ، ص ٤٥ .
- (٢٢) عبد الكريم زيدان ، المستفاد من قصص القرآن الكريم والدعاة ، مؤسسة
الرسالة ، ط١ ، بغداد ١٩٩٧ ، ج ٢ ، ص ٤٠٣ .
- (٢٣) محمد قلجعي ، قراءة سياسية للسيرة النبوية ، دار النفائس ، بغداد ، ط١ ،
بيروت ١٩٩٦ ، ص ٢٤٥ .
- (٢٤) ابراهيم العلي ، صحيح السيرة النبوية ، دار النفائس ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٩٨
، ص ص ٥١٩ ، ٥١٨ كذلك انظر : نور الدين علي بن أبي بكر البيهقي
، دار الكتاب العربي ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٦٤ - ١٦٧ .
- (٢٥) محمد بن سعد الزهري ، طبقات أبن سعد الكبرى ، دار صادر ودار
بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٧ ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .
- (٢٦) البيادقة : الرّجالة .
- (٢٧) الدكتور علي محمد محمد الصلابي ، السيرة النبوية ، دار أبن كثير
، ج ٢ ، دمشق ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٥٠٠ كذلك أنظر : من معين السيرة
لصالح احمد الشامي ، المكتب الاسلامي ، ط٢ ، ١٩٩٣ ، ص ٣٩٠ .
- (٢٨) المصدر نفسه .
- (٢٩) د. محمد فوزي فيض الله ، صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة ، دار
القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص ٣٩٧ .
- (٣٠) انظر : الحافظ أبي بكر أحمد البيهقي ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب
الشريعة ، تحقيق عبد المعطي قلجعي ، ط١٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت
، ١٤٠٥ هـ ، ص ٦٨ .

- (٣١) د. محمد فوزي فيض الله ، المصدر السابق ، ص ٣٩٦ .
- (٣٢) السيرة النبوية لأبي الحسن النووي ، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، القاهرة ، ص ٣٣٧ .
- (٣٣) سورة الإسراء ، الآية : ٨١ .
- (٣٤) سورة سبأ : الآية : ٤٩ .
- (٣٥) السيرة النبوية لأبي الحسن ، المصدر السابق ، ص ٣٣٩ .
- (٣٦) السيرة النبوية لأبن هشام (٤،٦٢) .
- (٣٧) د. محمد فوزي ، فيض الله ، المصدر السابق ، ص ٤٠١ .
- (٣٨) د. أكرم العمري ، المجتمع المدني في عهد النبوة ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ١٧٩ ، عن دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة للحافظ أبي بكر البيهقي ، تحقيق عبد المعطي قلنجي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٥ ، ص ٥٨ .
- (٣٩) د. علي محمد محمد الصلابي ، السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ص ٥٠٨ .
- (٤٠) محمد أبو شهبه ، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، دار القلم ، ط ٣ ، دمشق ، ١٩٩٦ ، ص ٤٥١ .
- (٤١) د. بريك محمد بريك ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة و مكة ، دار ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٩٩٦ ، ٢٤٨ .
- (٤٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩٨ .
- (٤٣) سواع: أسم صنم كان لقوم نوح [v] ثم صار بعد ذلك لقبيلة هُذيل المضرية .
- (٤٤) د. بريك محمد بريك ، المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .
- (٤٥) القيادة العسكرية في عهد الرسول [p] ، دار القلم ، ط ١ ، ١٩٩٠ ، ص ٤٤٧ .
- (٤٦) محمد فرج ، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ، دار الفكر ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٥٦٥ .
- (٤٧) محمود شيت خطاب ، دروس في الكتمان من الرسول القائد ، مكتبة النهضة (مطبعة الانتصار) ، ط ١٠ ، بغداد ١٩٨٨ ، ص ٣٦ .
- (٤٨) محمود شيت خطاب ، الرسول القائد ، مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٦٠ ، ص ٢٢٦ .
- (٤٩) محمد أبو شهبه ، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، مصدر سابق ، ص ٤٦٠ .
- (٥٠) أحمد راتب عرموش ، قيادة الرسول السياسية والعسكرية ، دار النفائس ، ط ١ ، ١٩٨٩ ، ص ١٢٩ .

